«الدرس الثامن»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:106]

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد

قوله سبحانه ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ الجملة على الابتداء ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ مبتدأ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ هو الخبر، والمعنى من كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد أن كان مؤمنا مهتديا فعليهم غضب من الله عَزَّوَجَلَّ إلا من أُكرِه على الكفر، والحال أن قلبه مطمئن بحقيقة الإيمان.

لما يتغير اعتقاده الصحيح ولكن من اتسع صدره لقبول الكفر، واعتقده واختاره على الإيمان وطابت نفسه واطمأنت به فهذا الصنف المعني بقوله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ شديد من الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة هذه الآية لها سبب نزول، وسبب النزول يوضح المراد منها.

سبب النزول صحيح أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه.

فلما أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«ما وراءك؟ قال شر يا رسول الله ما تُرِكت حتى نلت منك. ما تركني الكفار حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف تجد قلبك؟»** لما صنعت هذا **«كيف تجد قلبك؟ فقال عمار مطمئنا بالإيمان»** فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إن عادوا فعُد»** ما دام أن مطمئن بالإيمان، وأن القلب لم ينشرح بالكفر، وأنت أُكرهت إكراها يسميه المتأخرون من الفقهاء أُكرهت إكراها مُلجئا، الإكراه الملجئ هو الذي تدور معه الرخص بما فيها هذه الرخصة، والإكراه الملجئ أن يكون المُكره قادرا على تنفيذ ما هدد به.

لو هددك رجل ساقط ليس له قوة صغير ضعيف، هذا إكراه غير ملجئ، ولا وزن له، ولا قيمة له، فالإكراه الملجئ أن يكون المهدد له قوة بها يقدر على تنفيذ ما هدد.

الأمر الثاني خوف المكره من إيقاع المهدد به، فلو كان المهدد في مكان، والمكره في مكان فهذا ليس كراهة شرعية لكن أن يخاف وتظهر مخاوف من إيقاع الأذى بالمكره فهذا أيضا شرط ثان، شرط ثالث أن يكون ما هُدِد به فيه قتل أو إتلاف عضو. فلو هددك بشيء لا يضرك لو حصل، أن يستولي على شيء من أملاكك ولا قيمة له أو أنت لست بحاجة إليها، أو شيء ليس ذا بال فهذا لا يجوز أن تقع في الكفر لأن هذا الإكراه ليس بالملجئ.

فالإكراه الملجئ أن يكون الإكراه على قتل أو على تهديد إتلاف عضو أو نحو ذلك.

الشرط الرابع أن يكون المكره لا سبيل له إلا أن يفعل هذا، فلو قال مثلا أنا والله مكره، وهو يحب هذا العمل فهذا ليس ملجئ.

لجأ لشيء هو يحبه فلابد أن يكون فيه عدم رضى قلب وانشراح الصدر بالاستسلام.

أن يتعين عليه فعل مكره عليه فلو خير بين عدة أشياء، أو وجدت شفاعة لرفع هذا الإكراه الموصوف بالصفات السابقة فهذا ليس إكراها مُلجئا؛ لأنه يمكن أن تجد سبيلا لدفع هذا الإكراه. فهذه معالم عامة، والإكراه الكلام فيه طويل وله فقه وله فروع وله صور تحتاج إلى دورة كاملة. لكننا الذي أريد أن أوصله لإخواني في هذه العجالة أن من أُكره على الكفر وأجبر عليه، وكان إكراها ملجئا، والقلب مطمئن بالإيمان راغب فيه لا عنه، فإنه لا حرج ولا إثم على من نطق بكلمة الكفر عند هذا الإكراه.

هذا الحكم واضح في نص الآية، ومنطوق الآية تدل عليه وجاءت الآية أصالة لتقرير هذا الحكم، وهذا هو الفرق بين المنطوق، وبين دلالة الإشارة ودلالة اللازم، ودلالة المفهوم بنوعيه الموافقة والمخالفة سواء كانت المخالفة مثل أو المخالفة التي هي أقوي، والتي هي أولى فالآية جاءت لهذا الأمر، ودلنا على أن الآية سيقت لهذا الأمر سبب النزول، وسبب النزول كما أسلفنا قبل قليل جاءت لما أكره الكفار عمارا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بأن يذكر آلهتهم بخير، وأن ينال من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في هذه الدلالة واضحة والكلام على هذا طويل، أن النيل من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتنقص منه كفر يخرج من الملة، ولكن المراد أن

الإكراه الإلزامي أو الإكراه الذي فيه إلجاء فهذا هو الذي لا يؤاخذ به العبد.

الدلالة على قول محرم إكراها، وهذا الإكراه ملجئ هل عليه إثم؟ هذا دلالة الأولى إذا جاز الكفر حال إكراه ملجئ فلو أن رجلا ذا سلطة أكره فقيها على قول، وكان الإكراه ملجئا على أن يحرم حلالا أو أن يحلل حراما، فهل القول بهذا الحكم حال الإكراه الملجئ يرخص له أم لا يرخص؟ يرخص له، والأحسن في الصورتين أن يبقى الإنسان على العزيمة، سواء في الكفر أو في القول الذي يخالف دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

ولذا العلماء في حال الإكراه بعضهم يأخذ بالرخصة، بعضهم لا يأخذ بالرخصة، بعضهم يعمل على التورية، والتأريخ سجل لمن لم يأخذ بالرخصة موقفا، وأصبح الذي لم يأخذ بالرخصة إماما، مثل مسألة خلق القرآن.

خلق القرآن بعض الأئمة سكتوا فلما أجبروا قالوا القرآن مخلوق، يحيى بن معين لما سُئل عن خلق القرآن عمل تورية فقال: القرآن، التوراة، الإنجيل، صحف إبراهيم، وصحف موسى هذه مخلوقة. هذه الخمسة مخلوقة هذه تورية.

يحي بن معين وَرَّى، قال هذه الأصابع الخمسة مخلوقة.

الإمام أحمد كان يقول لا، القرآن غير مخلوق، أمير المؤمنين المأمون يقول بخلق القرآن الناس كلهم سيقولون بخلق القرآن، ويصبحوا معتزلة، والله جَلَّ فِي عُلَاه حفظ هذا الدين ببعض المواقف لبعض العلماء، ومنها قول الإمام أحمد. لذا قيل عن الإمام أحمد بعد فتنة خلق القرآن قيل عنه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إمام أهل السنة. لو قال كما قال غيره -وجاز له ذلك- ما سمي بهذا الاسم.

فسمي الإمام أحمد بأنه إمام أهل السنة لأنه أخذ العزيمة، ولم يأخذ بالرخصة.

وسبحان الله الحق، والمأذون به في الشرع الله جَلَّ فِي عُلَاه في سنته الكونية لا الشرعية لا يضيع الحق، وبالتالي الأقوال الحق في المسألة تتوزعها العلماء. مثلا منطقة ما لا تستطيع تتكلم في بعض الحقائق، في بعض الفتاوى، في بعض النوازل. منطقة أخرى يستطيع الإنسان أن يتكلم. فالحق لا يضيع، وهذا أمر لله خاص بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فمن قال الكفر، أو من قال الباطل مما هو دون الكفر، وكان هنالك إكراه ملجئ، فالآية فيها دلالة على أن في هذا رخصة، وليس فيها دلالة على المنع من أن يأبى النطق سواء بالكفر أو يأبى النطق بكلام الضلال.

المسألة الثالثة، وهي مهمة جدا المكره في موضوع الطلاق أو العتاق أو البيع أو الشراء أو اليمين، هل يؤاخذ المكره إكراه ملجئ؟ لو طلق رجل زوجته تحت إكراه ملجئ هل يقع الطلاق؟ لا يقع الطلاق، وهذا يؤكد صحة مذهب الجماهير في موضوع المقتضى، هل هو خاص أم عام في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«رُفِع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»** ما المرفوع من الاستكراه ومن الخطأ ومن النسيان؟

للعلماء قولان قول الإمام أبي حنيفة يقول المرفوع إنما هو الإثم، والمؤاخذة عند الله فحسب. الجماهير قالوا لا المرفوع المؤاخذة، والإثم كذلك. من نطق بطلاق ليس فقط يرفع عنه الإثم، لا يقع الطلاق، وإذا نطق الإنسان نسيانا في الصلاة، تبقى صلاته صحيحة. الإمام أبو حنيفة ما قال بعموم المقتضى. الجماهير قالوا بعموم المقتضى.

قال أنا أريد أن أصحح الكلام انتبه.

الكلام الشرعي مصون عن العبث، ومصون عن الأمر الذي ما يكون. انظر للحديث قال **«رُفِع عن أمتي الخطأ»** أنا وإياك نخطئ أم لا نخطئ؟ ننسى؟ نُستكره؟ الكلام مصون عن أن يخالف الواقع، فليس المراد **«رُفِع عن أمتي الخطأ»** أننا لا نخطئ، إنما المراد الإثم، فقال أبو حنيفة أنا أصوب الحديث بالمقدار الذي يلزم، رُفِع الإثم على المُسْتَكْرَه، وعلى الناسي، وعلى المخطئ.

الجماهير قالوا ليس هنالك شيء أولى بشيء، فليس فقط الإثم المرفوع، وإنما أيضا الحكم، ولعلكم الآن تستطيعون التخريج إن سألت مسألتين مثلا، وبعد معرفتكم بهذا الأصل تستطيعوا أن تخرجوا عليه مسائل لا عد لها ولا حصر، مسائل كثيرة.

فمثلا رجل طلق تحت الإكراه الملجئ هل يقع طلاقه أم لا يقع؟ أبو حنيفة يقول يقع. الجماهير يقولون لا يقع. لماذا أبو حنيفة يقول يقع؟ قال رُفِع عن أمتي الإثم، ما قال بعموم المقتضى. الجماهير قاموا بعموم المقتضى. ما هو عموم المقتضى؟ رُفِع الإثم، ورُفِع الحكم. فالطلاق لا يقع وقل مثل ذلك فيمن تكلم في الصلاة ناسيا.

واحد واقف يصلي السنة، وهناك ضجة في البيت، والزوجة تبحث على شيء فقدته، أين كذا؟ أين كذا؟ نسي المصلي فقال في الخزانة، صلاته صحيحة أم باطلة؟ أبو حنيفة يقول باطلة، والجماهير يقولون الصلاة صحيحة.

إذا نطق بالمقدار الذي يكون فيه نسيان كامل، لكن لو جرى حوار ونقاش، وبدأ يكمل الصلاة باطلة. لكن إذا استكرهت على المقدار اللازم، فأنت شرعا غير مؤاخذ.

فكذلك الآية بما أنها رفعت المؤاخذة عمن نطق كلمة الكفر فكذلك ترفع المؤاخذة في حال النسيان، وأخبرنا النبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذاك

الرجل الذي فرح بطعامه وشرابه، ودابته فقال من شدة الفرح فقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح. رجل يقول اللهم أنت عبدي وأنا ربك، هذا كفر والعياذ بالله لكن هو أخطأ من شدة الفرح، فالأمر في الإكراه والنسيان والخطأ في مسائل الصلاة، مسائل العتق.. أن يعتق الرجل عبدا مملوكا له، في مسائل البيع في مسائل الشراء فهذه كلها تدخل في عموم الآية ولا يؤاخذ العبد بها أيضا.

تأمل الآية ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ كَفَر هذا يشمل الأقوال والأفعال أم الأقوال دون الأفعال؟ الآية نطقت بشيء أم سكتت. ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ لو أن رجلا قال قولا، قلنا بالقيود الموجودة والإكراه الملجئ، والقلب غير منشرح والقلب مطمئن بالإيمان فلا مؤاخذة عليه. هل هذا يشمل الأفعال أم فقط الأقوال؟

تأمل الآية، الآية فيها بيان أن الكفر هو قول أو فعل؟ أم أن الآية سكتت عن أن هذا قول أو فعل؟ الآية ساكتة ما ذكرت القول أو الفعل، ولذا المحققون من العلماء يقولون كذلك من أكره إكراها ملجئا على فعل كفر، وقلبه مطمئن بالإيمان فلا فرق بين الأفعال وبين الأقوال.

يعني لو إنسان مكره إكراها ملجئا أُمِر بأن يسجد لصنم هذا كفر قولا واحدا كفر، والإكراه مُلجئ فلا فرق بين القول والفعل. فالآية عامة تشمل الأقوال وتشمل الأفعال.

ثم جاء في الآية قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ما جاء مثلا فقد غضب الله عليهم، وإنما جاءت ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيم﴾ من الله ما الفرق بين جملة فقد غضب الله عليه وبين ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ جملة إسمية، فقد غضب الله عليه جملة فعلية.

أيهما أقوى في اللغة الجملة الإسمية أم الجملة الفعلية؟ احفظ هذا، وأنت تقرأ وردك اليومي من القرآن ستجد عشرات الأمثلة في وردك الذي تقرأه في أي مكان كنت تقرأ القرآن.

إن شاء الله، وأنتم تقرأون تستوعبوه وتفهموه، أم تقرأون قراءة فقط بدون تدبر، أو لا قراءة، ولا تدبر؟ أعوذ بالله أن نكون كذلك، الأصل أن نقرأ بتدبر.

الجملة الفعلية مرتبطة بالزمن فهي ليست ثابتة، وليست باقية فقد غضب الله عليه، غضب محدد، وغضب ليس دائما أما ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ غضب دائم. فالجملة الفعلية ليست ثابتة، ومؤقتة. والجملة الإسمية جملة تدل على الثبات والبقاء ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ وهذا هو سر قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ولم يقل فقد غضب الله عليهم.

لو عملت دراسة بين الجملة الفعلية، والجملة الإسمية في الغضب مثلا، واستقرأتها في القرآن تجد عجبا. كل كلمة في القرآن لها أسرار، وتستطيع أن تفهمها من خلال النظر في سياق الآيات كلها فحينئذ يبدو لك شيء من أسرار القرآن.

متى غَضَبُ الله عليهم؟ قال ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ خبر مقدم، والغضب مبتدأ مؤخر، لكن خصهم الله وقدمهم، وتقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر،

يعني كأنه لا غضب لله دائم إلا على الكفار. هذا صحيح، فلا يفهمه إلا من كان على حق.

لذا شيخ الإسلام بناء على هذا لما استقرأ في كتابه البديع الصارم المسلول في حكم شاتم الرسول، وتعرض لحكم سب الرب وسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر مثلا العذاب المهين، وذكر العذاب العظيم، وذكر العذاب المبين وخرج بعد استقراء تام للقرآن أن العذاب المهين لا يذكر في القرآن إلا للكفار، كل عذاب مهين تدل على أن صاحبه كافر. أما العذاب العظيم والعذاب الشديد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب:57] في الأحزاب، فذكر الله العذاب المهين لإيذاء الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله والمؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:58] المهين للكافر، والمبين والشديد والعظيم لهذا وذاك.

فالشاهد أن تقديم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كأن غضب الله عليهم لأنه حَالٌّ بهم باق، وهم فيه إلى أبد الآباد، وهذا لا يكون إلا في الكفر، والآية جاءت ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ فالآية واضحة في الكفار.

تأمل معي الآية، وأذكر بعض الدقائق اللغوية فيها قال ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ قالوا ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ﴾ استدراك بعد الاستثناء، الاستثناء ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ هذا

الاستثناء، فهذا استدراك بعد الاستثناء بعد ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أن المكره مرخص له في جميع الصور. لا.

ما تفهم أن كل ما استثناه الله تعالى من الإكراه الملجئ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فخص صورة قال ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فلو كنت مكرها، وشرحت صدرا فعليك غضب دائم، وقد كفرت وخرجت من الملة. فهذا استدراك من الاستثناء ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾ فالمكره إكراه مُلجئ متى لا يكفر؟ شرط أن يكون قلبه منشرح بالإيمان، فإذا أكره إكراها ملجئا وقلبه ليس منشرح بالإيمان كفر وخرج من الملة، وهذا مهم.

ثم قال ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ ما قال وعذاب عظيم لهم، ﴿وَلَهُمْ﴾ فقدم لهم أيضا للاهتمام، ونَكَّر العذاب العظيم.

طبعا من المسائل الواضحة التي لا تحتاج إلى بيان أن الغضب المذكور ها هنا صفة فعلية لله عَزَّ وَجَلَّ. صفات الله قسمان صفة فعلية وصفة ذاتية. الصفة الذاتية التي لا تنفك عن الله عَزَّ وَجَلَّ والصفة الفعلية التي لها صلة بالمشيئة؛ فالله يغضب على من يشاء ويرضى عمن يشاء.

ففي الآية في قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ إثبات الصفة الفعلية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فالله يغضب غضبا يليق بجلاله. فلا نؤول الغضب بمعنى آخر، وهذا أمر ذكرناه في الدورات السابقة وفصلناه وطولنا في تقريره.

فمما يستفاد الآيات إثبات صفة الغضب لله عَزَّ وَجَلَّ وهي صفة فعلية، وليست صفة ذاتية.

والذي يستحق هذا الغضب إنما هو الكفار.

نأتي بالآية التي بعدها يقول الله جَلَّ وَعَلا في كتابه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:116]

تأمل معي الآية، وعد كم مرة ورد الكذب في الآية؟ هذه الآية، آية واحدة كم مرة ورد فيها الكذب؟ ثلاث مرات. هذا الكذب المذكور في هذه المواطن ينبغي أن نتيقظ له، وأن نفهمه فهما جيدا.

الله في آية واحدة ذكر الكذب ثلاث مرات ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ما أجمل أن تقرأ القرآن قراءة سُنَنِيَّة.

كل آية في القرآن فيها قواعد، هذه القواعد ثابتة لا تتغير.

كل من يفتري على الله الكذب، ولو سُمِّي بشيخ المشايخ، قاضي قضاة الدنيا، وأعلم الناس في الأرض لا يفلح. هذا قول الله عَزَّ وَجَلَّ كل من يفتري على الله الكذب لابد أن يُهان، ولابد أن تناله الألسنة، وأن يُحَطَّ من قدره ولا يكون له ذكر لا في حياته ولا بعد وفاته.

الآية واضحة جدا لكن ينبغي أن نفهم هذه الآية، وأن نفهم هذه السنة فهما بسياقها وفهما بالضوابط التي فيها.

المعنى المجمل للآية لا تحللوا، ولا تحرموا من تلقاء أنفسكم فإن فعلتم فهذا كذب على الله عَزَّ وَجَلَّ لأنه لا مستند صحيح لكم، ولا حجة بينة فيما

قلتم وافتريتم، وتكونون قد قلتم على الله عَزَّوَجَلَّ ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ اختلاقا وكذبا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

حرمة الكذب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن منتشرة وكثيرة، ومرت معنا آيات في سورة الأنعام، وكذلك في سورة يونس، وتكلمنا في حينها على هذه الآيات لكن هذا معنى تحريم الحلال، وتحليل الحرام قرين الشرك.

بعد الشرك في المحرمات، الافتراء على الله بأن تقول هذا كذب، وهذا حلال وهذا حرام دون بينة ودون حجة، ولا برهان، ولذا قال أهل العلم تحليل الحرام، وتحريم الحلال قالوا هذا قرين الشرك، وثبت عند أحمد في المسند أن عدي بن حاتم دخل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبي يقرأ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة:31] فغضب عدي، ما كان قد أسلم.. عرب يفهمون، عقلاء ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ قال يا رسول الله ما اتخذنا أحبارنا ورهباننا أربابا من دون الله.

فعدل له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المراد، شرح النبي قوله كيف اتخذوهم أربابا من دون الله.

فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ألم يحلوا لهم الحرام، ويحرموا عليهم الحلال؟ قال هذه بلى يا رسول الله**» قال إذا ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ كل من كانت له سلطة على الناس يقول هذا حلال وهذا حرام

في دين الله هذا رب، هذا إله، وسيأتينا إن شاء الله في الآيات اللاحقة معنى الرب.

هل يلزم أن يكون العالم الذي وضع الله له القبول هو أعلم الخلق؟ لا والله لا يلزم. الله نصر أهل السنة، وهم منصورون وسيبقوا على نصر بإذن الله بسبب علمائهم، وبسبب صدق علمائهم، وبسبب تدين علماءهم.

أهل السنة كلما قربت من رجل منهم علمت منه ما لا يظهر لك من التقوى والورع، والخوف من الله والطاعة والعبادة.

أهل الباطل وإن تسموا بالعلماء كلما قربت منهم علمت حالهم ونفرت منهم وابتعدت عنهم، وعلمت من السيئات ما الله به عليم قد يبدو الأمر زوجته وأولاده، بعض العلماء زوجته متبرجة، وله حسابات بنكية والله حدثني عالم رباني قد سافرت مع فلان، وكان مفتيا لبلدة ما، سافرت معه لأمريكا قال طول السفرة ونحن ذاهبين ما صلى ولا صلاة! ولا صلاة!! إيش هذا؟! إيش هذا؟! هذا دين؟ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

والله تَعَالَى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.